خصوصية كوتبو

في زمن بيازيد البسطامي كان يعيشُ كثيرٌ من أهل العلمِ والأولياءِ وأصحابِ الكرامات، وكان منهم رجلٌ أميٌّ اسمه: أسرين، يعمل حدَّاداً، وعندما سمع به حضر العالم بيازيد لزيارتِهِ، ولدى وصولِهِ إلى الدُّكَّانِ كان الحداد كعادتِهِ كلَّ يومٍ يطرق الحديد بمطرقته وسنَدانِهِ، فألْقَى السلام عليه، فرحَّبَ به الحدادُ كثيراً واقتربَ منه وعانَقَه، وطلب منه أنْ يدعوَ له، ولم يكنْ يعلم الحداد أنه أيضاً له مكانه عالية.

ابتسم العالم بيازيد وقال له:

ـ في الحقيقة أنا الذي أحتاج لدعائكم.. لأقبِّل يديكَ ولتدعو لي، أرجوك.

ـ أنا؟! ومن أكون أنا؟! وهل يحتاج عالمٌ مثلكَ لدعاءِ شخصٍ مثلي؟!!

ثم تابع الحداد وهو في حيرةٍ من الأمر:

ـ حتى لو دعوتُ لك هل سيذهب هذا همِّي ويحلُّ مشكلتي؟

ـ وما هي مشكلتك؟ اشرحها لي عسى نلقى حلاً.

عندها أُجْهِشَ الحداد بالبكاء وقال وهو يشهق ويبكي:

ـ غداً كيف سيكون حال الناس يوم القيامة؟ لا أستطيع أنْ أمنعَ نفسي من التفكير في هذا الأمر ليلاً نهاراً.

عندما سمع العالم بيازيد البسطامي هذا الكلام بدأ بالبكاء هو الآخر، وفي تلك اللحظة سمع صوتاً من داخله ينادي:

ـ أيها العالم بيازيد؛ هذا الحداد لا يفكر في نفسه إنَّما يفكر في أمَّتِهِ.

وفكَّر كيف أنَّ هذا الحداد يفكر في أشياء وهو الأمِّيُّ الذي لم يقرأْ كتاباً في حياته!

عندها قال للحداد:

ـ يا أخي؛ ولماذا تحزن أنت؟ الناس سيتعذبون وليس أنت!

ـ آه يا معلمي.. أتمنَّى لو أتعذَّبُ أنا وحدي في جهنم وينجو الآخرون، عندها فقط سأشعر بالسعادة.

وهكذا تعلم العالم البسطامي من هذا الإنسان البسيط الذي كان قلبه مرتبطاً بالله حقاً ما لم يكنْ يعلمُهُ.

لا تستطيع أنْ تقول أنَّك تعلم كلَّ شيء، فلربما يأتي يومٌ وتتعلَّمُ أشياءَ كثيرةً من أناسٍ بسطاءَ لا يتمتعون بالشهرة والمكانة بين الناس.

«أنا راضٍ بأنْ أرى أمتي وعلماءَ أمتي قد نجوا من عذابِ جهنم، وأنْ أتعذَّب بدلاً عنهم».

لأجل وجود مثلِ هؤلاء الأشخاص بُعث رسول الله ﷺ لله للعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ ليعلِّمهم الرحمة والمحبة والإيثار.